٧١

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرل للتنمية والدراسات الإسلامية

عصمة آدم (عليه السلام)

بين النقد والمعتقد

الشيخ رحيم شاكر فرج الخاقاني

1446هـ - م2025

عصمة آدم (عليه السلام) بين النقد والمعتقد

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على تنزيه النبي آدم (عليه السلام) عن المعصية، وتوضيح المواقف التي حدثت معه وفقًا لما ذكرته الآيات الشريفة والمصادر الحديثية القديمة، وكيفية تفسيرها في إطار من النبوة والاختبار الإلهي. سنتناول أيضًا فهم المعصية وكيفية تنزيه الأنبياء عنها وفقًا لما يقتضيه مقامهم العالي في الإسلام.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أولياء الله المرسلين والأنبياء المعصومين، الذين أضاءوا طريق الهداية للإنسانية جمعاء.

إلى أبي البشر ـ نبي الله، آدم (عليه السلام)، الذي علّمنا الصبر والتوبة والرجوع إلى الله.

إلى كل من يسعى في طلب العلم والفهم، وإلى جميع الباحثين عن الحقيقة.

إلى أرواح علمائنا الكبار الذين وضعوا أسس هذا الفهم، وأضاءوا بنور علمهم دربنا.

أهدي هذا البحث المتواضع، الذي يتناول موضوع عصمة النبي آدم (عليه السلام)،

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل بقبوله الحسن، وأن يجعله لبنةً في بناء العلم والمعرفة، وأن ينفع به كل من يطلع عليه

والحمد لله رب العالمين.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى شرعنا في كتابة بحث حول الآية الكريمة: (فعصى آدم ربه فغوى) وذلك بتوجيه الإشكال الوارد حول عصمة آدم" (عليه السلام) "وعصيانه بحسب الآية الكريمة، فكيف تجتمع العصمة مع المعصية؟!

وفي هذا البحث سوف ننقل أهم الردود على الإشكال وكذلك البحث حول الشجرة الممنوعة على آدم" (عليه السلام) "وربط هذه الآية بآيات أخرى ذكرت الشجرة.

وهل هي شجره واحدة؟ وهل هي شجره حقيقية كما نرى مثل شجرة التفاح، أو غيرها من الأشجار أم أنها شجره معنوية أو غير ذلك؟

وكل ما مبحوث في هذا البحث يعتمد كليا على روايات أهل البيت" (عليهم السلام)" من المصادر التفسيرية المعروفة وكتب الحديث الشريفة كالكافي ومعاني الأخبار والبحار وسفينة البحار وغيرها. أما الآراء الشخصية لبعض الباحثين فقد نقلنا بعضها وأشرنا إلى مصادرها. ويقع البحث أن شاء الله تعالى في فصلين:

الفصل الأول:

ذكر ثلاث من الآيات التي تحدثت عن معصية آدم (عليه السلام) مع الإشارة إلى ما جاء في تفسيرها.

والفصل الثاني:

يتناول ذكر الأقوال في النهي وأنواعه، وما النهي الصادر من الله سبحانه لآدم (عليه السلام) وخاتمة.

ومن الله سبحانه العون والسداد.

الفصل الأول:

من الآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن معصية آدم" (عليه السلام)":

الآية الأولى، قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[1].

تتحدث الآيات عن أمر الله تعالى لآدم (عليه السلام) وزوجته حواء بالعيش في الجنة والابتعاد عن الشجرة المحرمة، وكيف وسوس الشيطان لهما فوقعا في المعصية، مما أدى إلى خروجهما من الجنة.

وجاء في تفسير التبيان:

ومعنى (أسكن أنت وزوجك الجنة): اجعله مأوى تأوي فيه وتسكن إليه، وقد أعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وتلك نعمة على ولده، فألزمهم الشكر عليها، والقيام بحقها والجنة التي أسكن فيها آدم، قال قوم: هي بستان من بساتين الدنيا، لإن جنة الخلد لا يصل إليها إبليس ووسوسته، واستدل البلخي على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس لما أغوى آدم، قال له: (هل أدلك على شجرة الخلد؟) فلو كانت جنة الخلد لكان عالما بها، فلم يحتج إلى دلالة وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأكثر المعتزلة كأبي على والرماني وأبي بكر بن الاخشيد وعليه أكثر المفسرين: انها كانت جنة الخلد، لان الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها قالوا: ويجوز أن يكون وسوسة إبليس من خارج الجنة، فيسمعان

[1] - سورة البقرة، الآية ٣٥-٣٦.

خطابه ويفهمان كلامه، قالوا: وقول من يقول: ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لا يصح، لان معنى ذلك إذا استقر أهل الجنة في الجنة للثواب، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، واما قبل ذلك فإنها تعنى لقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)[٢].

وجاء في تفسيرها كما في تفسير القمي رحمه الله:

سئل الصادق (عليه السلام) عن جنة آدم أ من جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبدا آدم ولم يدخلها إبليس.

قال: أسكنه الله الجنة وأتى جهالة إلى الشجرة فأخرجه- لأنه خلق خلقة لا تبقى إلا بالأمر والنهي- واللباس والأكنان والنكاح- ولا يدرك ما ينفعه مما يضره إلا بالتوقيف- فجاءه إبليس فقال إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين- و بقيتما في الجنة أبدا- و إن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنة و حلف لهما أنه لهما ناصح- كما قال الله تعالى حكاية عنه: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة- إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين- و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين» فقبل آدم قوله فأكلا من الشجرة- فكان كما حكى الله: «بدت لهما سوآتهما» و سقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنة و أقبلا يستتران بورق الجنة «و ناداهما ربهما أ لم أنهكما عن تلكما الشجرة- و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين» فقالا كما حكى الله عز و جل عنهما «ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا- لنكونن من الخاسرين» فقال الله لهما اهبطوا بعضكم لبعض عدو- و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين قال إلى يوم القيامة[٣].

---

[٢] - تفسير التبيان الشيخ الطوسي /ج١/ص ١٥٩.
[٣] - تفسير القمي، ج١، ص: ٤٣.

الآية الثانية، من الآيات التي تحدثت عن معصية ادم (عليه السلام)

قوله تعالى: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ فَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا..مَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[٤].

تشرح هذه الآيات كيف وسوس الشيطان لآدم وحواء من خلال الغرور والخداع، وكيف أسقطهما في المعصية بجعل الشجرة تبدو أكثر جاذبية، مما كشف عوراتهما بعد أن أكلا منها.

وجاء في تفسير قوله تعالى:

(فأزلهما الشيطان عنها) عن الجنة بوسوسته وخديعته وإيهامه [وعداوته] وغروره، بأن بدأ بآدم فقال: (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) إن تناولتما منها تعلمان الغيب، وتقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرة (أو تكونا من الخالدين) لا تموتان أبدا.

(وقاسمهما) حلف لهما (إني لكما لمن الناصحين) [الصالحين].

وكان إبليس بين لحيي الحية أدخلته الجنة، وكان آدم يظن أن الحية هي التي تخاطبه، ولم يعلم أن إبليس قد اختبأ بين لحييها.

---

[٤] - سورة الأعراف، الآية ١٩-٢٢.

فرد آدم على الحية: أيتها الحية هذا من غرور إبليس لعنه الله كيف يخوننا ربنا؟ أم كيف تعظمين الله بالقسم به وأنت تنسبينه إلى الخيانة وسوء النظر، وهو أكرم الأكرمين؟

أم كيف أروم التوصل إلى ما منعني منه ربي (عز وجل)، وأتعاطاه بغير حكمة؟

فلما أيس إبليس من قبول آدم منه، عاد ثانية بين لحيي الحية فخاطب حواء من حيث يوهمها أن الحية هي التي تخاطبها، وقال: يا حواء أرأيت هذه الشجرة التي كان الله (عز وجل) حرمها عليكما، قد أحلها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له، وتوقيركما إياه؟ وذلك أن الملائكة الموكلين بالشجرة - الذين معهم حراب يدفعون عنها سائر حيوان الجنة - لا تدفعك عنها إن رمتها فاعلمي بذلك أنه قد أحل لك، وابشري بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطة عليه، الآمرة الناهية فوقه.

فقالت حواء: سوف أجرب هذا.

فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن تدفعها عنها بحرابها.

فأوحى الله تعالى إليها: إنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره، فأما من جعلته ممكنا مميزا مختارا، فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه، فان أطاع استحق ثوابي، وإن عصى وخالف [أمري] استحق عقابي وجزائي.

فتركوها ولم يتعرضوا لها، بعد ما هموا بمنعها بحرابهم.

فظنت أن الله نهاهم عن منعها لأنه قد أحلها بعد ما حرمها.

فقالت: صدقت الحية، وظنت أن المخاطب لها هي الحية، فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئا.

فقالت لآدم: ألم تعلم أن الشجرة المحرمة علينا قد أبيحت لنا؟ تناولت منها فلم تمنعني أملاكها، ولم أنكر شيئا من حالي.

(فذلك حين) أغتر آدم وغلط فتناول، فأصابهما [ما] قال الله تعالى في كتابه:

(فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما) بوسوسته وغروره (مما كانا فيه) من النعيم (وقلنا) يا آدم ويا حواء ويا أيتها الحية ويا إبليس (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) آدم وحواء وولدهما عدو للحية، وإبليس والحية وأولادهما أعداؤكم (ولكم في الأرض مستقر) منزل ومقر للمعاش (ومتاع) منفعة (إلى حين) الموت (٥).

الآية الثالثة:

من الآيات القرآنية التي تحدثت عن اغواء الشيطان لآدم (عليه السلام) قوله تعالى:

(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى
آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[٦].

تذكر الآيات تحذير الله سبحانه وتعالى لآدم " (عليه السلام)"من الشيطان، وكيف أغواه الشيطان بالإغراء بشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى، وبعد أن أكلا من الشجرة بدت عوراتهما وعصيا أمر ربهما.

٥- البحارج١١، ص ١٩٠، ح٤٧

والبرهان ج ١/ص٧٩/ح١، تفسير الامام العسكري عليه السلام ص٢٢٤

٦- سورة طه، الآية ١١٧-١٢١.

وجاء في تفسير مجمع البيان:

(وعصى آدم ربه فغوى) معناه. خالف آدم ما أمره ربه به، فخاب من ثوابه. والمعصية: مخالفة الأمر سواء كان الأمر واجبا أو ندبا. قال الشاعر: (أمرتك أمرا جازما فعصيتني). ولا يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا، كما يسمى بذلك تارك الواجب. يقولون: فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني، وإن لم يكن ذلك واجبا. ولا شبهة أن لفظة (غوى) يحتمل الخيبة. قال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ويجوز أن يكون معناه: فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود[٧].

الفصل الثاني

ويتناول هذا الفصل ذكر الأقوال في توجيه أشكال عصيان أدم (عليه السلام) كما في قوله تعالى: (فعصى آدم ربه فغوى):

الأقوال في معنى النهي الصادر من الله تعالى لنبيه آدم (عليه السلام):

القول الأول: إن النهي مولويٌ:

فاذا كان النهي مولوياً فأن مخالفة النهي المولوي يستحق المخالف لهذا النهي العقاب والنار إلا ان تناله التوبة أو الشفاعة.

٧- مجمع البيان ج٧/ ص ٦٣.

وهذا ما ذهب اليه الحشوية[٨] ، وكثير من أصحاب الحديث من العامّة: وهو أنّه يجوز على الانبياء (عليهم السلام) الكبائر والصغائر، عمداً وسهواً وخطأً [٩]. وايضاً أنّ الأزارقة من الخوارج [١٠] جوّزوا عليهم الذنب، وكلُّ ذنبٍ عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل حُكي عنهم أنهم قالوا يجوز أن يبعث الله نبيّاً عَلِمَ أنّه يكفر بعد نبوته!

ويرد هذا القول بأنه: (دل الدليل على أن النهي لا يكون نهيا إلا بكراهته للمنهي عنه والله تعالى لا يكره إلا القبيح، والأنبياء (عليهم السلام) لا يجوز عليهم القبائح صغيرها ولا كبيرها)[١١]. ولو جاز على الانبياء (عليهم السلام) ذلك لنفر عن قبول قولهم، وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كل منفر عنهم من الكبائر والخلق المشوهة والأخلاق المنفرة، فتجويز ذلك عليهم خلاف الحكمة الالهية التي اقتضت بعث الانبياء والرسل معصومون.

القول الثاني: ان النهي تنزيهي

النهي التنزيهي: هو النهي الذي يكون تعبيراً عن وجود منقصة وحزازه في متعلقه، فيكون متعلق النهي بذلك مكروهاً، فالنهي التنزيهي دال على وجود مبغوضية خاصة في متعلق النهي.

القول الثالث: إن النهي إرشادي:

الأمر والنهي الإرشادي، المراد منه الأمر والنهي الذي يكون بحسب الصورة، وظاهره اللفظ أمراً أو نهياً حقيقياً ولكن واقعه إخبارٌ وإرشاد إلى حكم عقلي أو قضيّة خبرية أو نحو ذلك، والنهي الإرشادي يشبه النهي التنزيهي، لكن الفارق بينهما يكمن في العموم والخصوص من وجه. النهي الإرشادي أوسع من النهي التنزيهي، والذي يشير إلى وجود كراهية خاصة في

---

٨ - وهم المحدِّثون من العامّة الذين ينفون تأويل الآحاديث، والكتاب الكريم، ويأخذونهما على الظواهر.
٩ - بحار الانوار/ العلامة المجلسي /١١/٨٩.
١٠ - وهم فرقه متشددة تنسب الى نافع بن الازرق.
١١ - تفسير جوامع الجامع ج١/ص ٩٥.

الشيء المنهي عنه. أما النهي الإرشادي، فيستند إلى حكم العقل أو الشرع، ويعمل كمنبه أو مرشد للحكم العقلي أو الشرعي الوضعي.

وللتمييز بين النهي التحريمي والإرشادي نستخدم القرائن، حيث أن الأصل في النواهي أن تكون مولويَّة (أي تأمر بالامتثال والطاعة)، ولا نخرج عن هذا الأصل إلا إذا كانت هناك قرينة تشير إلى أن النهي هو إرشادي. وبعباره أخرى الفرق بين النهي المولوي والإرشادي: النهي المولوي يصدر عن آمر يجب طاعته، ويترتب عليه الثواب والعقاب. أما النهي الإرشادي، فيصدر عن ناصح يرشد لتجنب الضرر، ولا يترتب على المخالفة سوى المضاعفات الطبيعية.

فنهي الله تعالى لآدم عن الأكل من الشجرة كان إرشاديًا، ولولا ذلك لاستحق العقاب. وكان النهي للتحذير من الأثر السلبي للفعل، مثل الخروج من الجنة والتعرض للشقاء.

وهنا ضابطة كلية للتميز بين النهي التحريمي والإرشادي هو: النهي التحريمي هو كل نهي صادر عن المولى والحجج الطاهرين بدون قرينة مرخصة، والنهي الإرشادي يكون مع قرينة تدل على النصح والإرشاد.

ولا يستحق المخالف لهذا النهي اي عقاب مولوي بل يكون في المخالفة ظالم لنفسه لأن مخالفة النهي الإرشادي نتيجته التعب والمشقة، وهذا ما حدث لآدم (عليه السلام) فكان عصيانه للنهي الإرشادي فيه تعب ومشقه في عالم الدنيا..

اما كيف نفسر اخذ آدم (عليه السلام) بكلام الشيطان الرجيم، فذلك نتيجة طبيعية كما جاء في الحديث الشريف انه لم يكن يعلم أن هناك من خلق الله سبحانه يقسم بالله كاذبا، ويكون من الناصحين مهما كان شأنه فآدم (عليه السلام) اخذ بالقسم لهذا اكل من الشجرة وناله ما ناله من التعب والمشقة.

(عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)، قَالَ: «لَمَّا أُخْرِجَ آدَمُ (عليه السلام) مِنَ الْجَنَّةِ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ (عليه السلام)، فَقَالَ: يَا آدَمُ، أَ لَيْسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وزَوَّجَكَ حَوَّاءَ أَمَتَهُ، وأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، وأَبَاحَهَا لَكَ، ونَهَاكَ مُشَافَهَةً أَنْ لَا تَأْكُلْ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا وعَصَيْتَ اللَّهَ؟

فَقَالَ آدَمُ (عليه السلام): يَا جَبْرَئِيلُ، إِنَّ إِبْلِيسَ حَلَفَ لِي بِاللَّهِ إِنَّهُ لِي نَاصِحٌ، فَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِباً)[١٢].

مخالفة آدم (عليه السلام) كانت مخالفة الأولى

حيث كان من الأولى لآدم (عليه السلام) أن لا يقرب الشجرة؛ لأن نتيجة ذلك التعب والمشقة ولم يكن عليه أي ذنب بل قد يقال انه مستحق للثواب

وتوضيح ذلك:

الصدقة تكون أكثر ثوابا إذا كانت لذي رحم لأن الأقربون أولى بالمعروف فإذا خالف الإنسان وتصدق على غير رحمة نقول له حصلت على أجر وثواب الصدقة ولكن كان الأولى أن تتصدق لا رحامك الفقراء. فهو حصل على الثواب ولكن ليس بالمقدار الذي لو تصدق به على اقربائه.

المثال الآخر: الصلاة جماعة مستحبة وخصوصا تكون أكثر استحبابا لو كانت في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو تحت قبة الإمام الحسين (عليه السلام) فإن الدعاء تحت قبته الشريفة مستجاب كما في الروايات ولكن لو خالف الزائر وصلى في مسجد قريب ولم يصلِ في الضريح المقدس نقول له كان الأولى أن تصلي في ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) ففيه ثواب عظيم. بمعنى كان الأولى له أن يصلي في ضريح الإمام (عليه السلام) ولكنه خالف الأولى وان استحق الثواب على صلاته في المسجد القريب من الإمام (ع).

[١٢] - بحار الانوار / العلامة المجلسي رحمه الله /ج ١١/ص ١٦٣.

فكان آدم (عليه السلام) خالف الأولى ولم يكن عاصياً.

وان نزوله للأرض نتيجة طبيعية لأنه مخلوق لأجل أن يكون خليفة في هذه الأرض. (ورد في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) أما قوله (عز وجل) في آدم: «وعصى آدم ربَّه فغوى» فإنّ الله (عز وجل) خلق آدم حجة في أرضه وخليفته في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الارض لتتم مقادير أمر الله (عز وجل)، فلمّا أهبط الى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصمَ بقوله (عز وجل): (إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين).

وهنا اشارة الرواية الى ان المعصية في الجنة لا في الأرض، وفيها قولين:

القول الاول: ذهب البصريون من أهل العدل الى جواز أن يبتدئ الله سبحانه الخلق في الجنة فينعمهم فيها تفضلا منه لا على وجه الثواب، لان ذلك نعمة منه تعالى كما أن خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب نعمة منه، وله أن يفعل ما يشاء من ذلك.

القول الثاني: وهو المنسوب الى أبي القاسم البلخي: لا يجوز خلقهم في الجنة ابتداء، لأنه لو جاز ذلك، لما خلقهم في دار المحنة، ولما ابتلى من يعلم أنه يكفر ويصير إلى عذابه وإنما لم يجز أن يخلقهم ابتداء في الجنة، لأنه لو خلقهم فيها، لم يخل: إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر، أو لا يكونوا كذلك فلو كانوا غير متعبدين، كانوا مهملين ولذلك لا يجوز ولو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد، ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لا بد من دار أخرى يجازون فيها ويخلدون وأجاب عن ذلك الأولون بان قالوا: لو ابتدأ خلقهم في الجنة لاضطرهم إلى معرفته، وألجأهم إلى فعل الحسن وترك القبيح[١٣].

[١٣] - التبيان / الشيخ الطوسي /ج١/ص١٥٩.

ما نوع الشجرة المنهي عنها آدم (عليه السلام)؟

إن الشجرة الممنوع الاقتراب إليها هي ليست الشجرة النباتية المعروفة في الأذهان بل هي كلمة تمثل محمد وال محمد" صلوات الله عليهم" كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)[١٤].

فان آدم (عليه السلام) ذاق أو اكل منها ليس بالمعنى المعهود الأكل بل بمعنى آخر وهو قد يكون علم او مقام محمد وآل محمد" صلوات الله عليهم" مقام الخالدين مقام شرفهم به الله تعالى على جميع الخلائق ولهذا جاء الشيطان الرجيم لآدم (عليه السلام) وقاسمهما على أن الوصول لهذا المقام تكونا من الخالدين وآدم (عليه السلام) أخذ بالقسم لأنه لا يعلم كما ذكرنا أن هناك من يكذب على الله سبحانه وتعالى فلهذا أقدم على تمنى هذا المقام لكي يكون خالدا في عبادة الله سبحانه، فقد جاء في تفسير البرهان: (عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً عند رسول الله، إذ أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله (عز وجل) لإبليس: {أَستكبرتَ أم كنتَ مِن العالين} مَن هم يا رسول الله - العَالين - الذين هُم أعلى مِن الملائكة المُقرّبين - ولم يُؤمروا بالسجود لآدم -؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سُرادق العرش نُسبّح الله، فسبّحتْ الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام. فلمّا خلق الله (عز وجل) آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يُؤمروا بالسجود إلّا لأجلنا - لِما تجلّى في آدم مِن نورنا -، فسجدتْ الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد. فقال الله تبارك وتعالى: {يا إبليس ما منعك أن تسجد لِما خلقتُ بيدي أَستكبرتَ أم كنت مِن العالين} قال: مِن هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سُرادق العرش، ثُمّ قال رسول الله: فنحنُ باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومَن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره ولا يُحبّنا إلّا مَن طاب مولده أو لهذا ألهمه الله سبحانه تلك

[١٤] - سورة ابراهيم /الاية ٢٤

الكلمات النورانية أسماء محمد وآل محمد صلوات الله عليهم فتاب عليه... ثم اصطفاه واجتباه نبيا...)[١٥].

ربما يؤيد ذلك هذه الرواية: (... قال أبو عبد الله (عليه السلام): ان آدم لما أكل من الشجرة ذكر انه ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرته إليها، وقالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل مني؟...)[١٦].

اقول كيف تأخذ الشجرة برأس ولي الله وخليفته آدم (عليه السلام) ألا إن تكون هذه الشجرة أفضل بالخلق من آدم (عليه السلام) ومن هو أفضل من آدم (عليه السلام) الا محمد وآله الطاهرين... وإذا أردنا المقارنة بين فأخذت برأسه فجرته وبين قوله تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[١٧].

---

١٥ - البرهان في تفسير القران / ج٦ /سورة ص - الآية ٧٣

١٦ - البرهان /ج٢/ص

١٧ - سورة الاعراف /الاية ١٥٠.

الخاتمة

القضية إنما هي من جملة ابتلاءات الأنبياء (عليهم السلام)، التي أراد الله من خلالها أن يظهر مكنونات ضمائرهم، وحقيقة وشرف معادنهم وعناصرهم، ومدى صفاء جوهرهم، ليقيم بذلك الحجة على الناس، ولتتمثل لهم الأسوة والقدوة، بأجلى وأتم حالاتها، وليبين لهم حقيقة مقاماتهم، وأن الله قد اصطفاهم واجتباهم استحقاقاً منهم لذلك، وتفضلاً منه عليهم. كما قوله تعالى: (وابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)[١٨]، واستحق النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يعرف من اسم الله الأعظم ثمانية أحرف. وامتحن الله النبي آدم (عليه السلام)، فنجح وأفلح، واصطفاه الله، واجتباه، واستحق أن يعرف من اسم الله الأعظم خمسة وعشرين حرفاً.. كما ورد في الروايات لأنه رضي أن يتخلى عن كل شيء من الملذات والنعم، والسعادات، ويتحمل كل أنواع المتاعب، والمصائب، والبلايا الدنيوية، في سبيل أن يكون في مقامات القرب الزلفى، في المحل الأعلى، مع محمد وأهل بيته الطاهرين[١٩] وذكر السيد جعفر مرتضى الحسيني العاملي: (الآيات الشريفة قد جاءت في سياق مدح آدم (عليه السلام) وتعظيمه، وتكريمه، وتفخيمه، لا لتلومه وتذمه... إنها تريد أن تمنحه وسام التقدير الفائق، ولتؤكد على حقيقة ميزاته وخصائصه الفضلى، ولتشير إلى مقامه العظيم عند الله سبحانه. وأنه (عليه السلام) إنما نال هذا الوسام وتبوأ ذلك المقام، لنجاحه الباهر في الامتحان، وذلك حين أكل من الشجرة، إذ لولا أكله منها لاستحق الطرد المهين والمشين، ولكان جديراً بالإسقاط عن درجة النبوة، ولم يكن ليصلح لها، لا من قريب، ولا من بعيد)[٢٠]، وقد ذكر السيد جعفر مرتضى في كتابه براءة آدم (عليه السلام) كلام مفصل ورد على القول بمخالفة الأمر الإرشادي وكذلك ترك الأولى ولم يقبل بهما وذكر تفاصيل أخرى، وذكر اقوال أخرى في المسألة شاذة وهي: إن الأنبياء غير معصومين مطلقاً،

---

[١٨] - سورة البقرة /الاية ١٢٤.
[١٩] - براءة آدم عليه السلام/السيد مرتضى جعفر العاملي.
[٢٠] -المصدر السابق.

وفريق آخر قال: إن الأنبياء قبل البعثة غير معصومين، وإنما كانت قصة آدم (عليه السلام) قبل بعثته، وثالث ذهب إلى: أن المراد بإبليس هو القوة الداعية إلى الشر، في الإنسان، وليس المراد به إبليس الحقيقي، ليقال: إنه قد تسلط على واحد من عباد الله المخلَصين.

ورابع ادعى: أن المراد بآدم (عليه السلام) ليس هو الشخص المعروف، الذي هو نبي معصوم، وإنما المراد به آدم النوعي، والقصة تخييلية محضة. ولم يقدم أي دليل على ذلك سوى حدسه، وظنونه، التي لن تغنيه من الحق شيئاً، لأنها من دون أي مبرر مقبول أو معقول، إلى غير ذلك من أمور قيلت، تدخل في دائرة الشطط، والشذوذ،)[٢١].

عن ثقة الإسلام عن على بن إبراهيم عن أبيه عن علي بن معبد عن واصل بن سلمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول: (أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر. أمر ابليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد ولو شاء لسجد. ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها. ولو لم يشأ لم يأكل)[٢٢].

وقد ذكر السيد عبد الله شبر بيان لهذه الرواية نقتبس منها محل الشاهد: (انه تعالى كل ما يأمر به فهو يريده وكل ما ينهى عنه فهو لا يريده بل يكرهه، وأنه تعالى يريد كل ما هو خير محض وحسن وجد أو لم يوجد، ولا يريد كل ما هو شر وقبيح كذلك، فيحتاج تطبيقه إلى توجيه يمكن بوجوه...

أحدها: إن يكون المعنى أن الله أمر بالأشياء على وجه الاختيار، وأرادها على وجه التفويض والاختيار ولم يشأ تلك الاشياء مشيئة جزم ولم يردها أراده قسر، وشاء شيئاً مشيئة تكليفية واراده أرادة تخييرية؛ يعني أراد إيقاعه باختيار العبد ولم يأمر به على وجه القسر، ولم يرده على وجه الجبر.

---

[٢١] - براءة آدم (عليه السلام) /للسيد جعفر مرتضى العاملي.

[٢٢] - الكافي ج١ باب المشيئة والآراء. وكذلك تفسير نور الثقلين ج١ ص ٦٢ ح ١١٩.

ثم أوضح ذلك (عليه السلام) بقوله: (أمر ابليس أن يسجد لآدم على سبيل الاختيار واراد منه السجود من غير قسر ولا إجبار وشاء أن لا يسجد بالجبر والقسر أو المعنى: ولم يشأ أن يسجد مشيئة جبر ولم يرده إرادة قسر بقرينة قوله سابقا ((أمر الله ولم يشأ)) ولو شاء سجوده لآدم على القسر والجبر لسجد له) لأن الأفعال القسرية لا تتخلف عن الفاعل القادر المختار.

ونهى آدم عن أكل الشجرة على وجه الاختيار وكره منه أكل ثمرتها من غير قسر ولا إجبار، وشاء أن يأكل منها باختياره اي لما شاء الاختيار له فكأنه شاء ما اختاره، أو شاء أن يكون له اختيار في أكله منه وأراد أن لا يكون مجبورا في تركه، ولو لم يشأ أن يكون له اختيار في أكله ويكون مجبورا على تركه ولم يأكل لأن المجبور على ترك الشيء ومسلوب الاختيار في فعله لا يقدر على الإتيان بذلك الشيء وحيث أكل علم أنه صاحب القدرة والاختيار فيه، وأنه تعالى أراد أن يكون فعل العبد وتركه بقدرته حفاظا لنظام التكليف وتحقيقا لمعنى الثواب والعقاب.)[٢٣].

النص الصريح في "نهج البلاغة" حول معصية آدم (عليه السلام) يتمثل في كلمات الإمام علي (عليه السلام). وهذا النص موجود في الخطبة رقم ١٩٢، حيث يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن قصة خلق آدم وعصيانه وتوبته. نختم بها، قال (عليه السلام): فلمّا أراد الله سبحانه امتحان آدم (عليه السلام) بالأمر والنّهي لتحقّق العبوديّة وسلامة السّريّة كشف له إبليس من عدالته ما خفي عليه، وبسط إليه لسان الشّبهة والمحال، وسوّل إليه بالغرور والاحتيال، فكان أولى بالجناية خلقا لا يجانبه الفناء. ثمّ إنّ الله سبحانه أهبطه إلى دار البلوى، ونسخ له فيها رزقا ووقتا، وابتلاه فيها بالشّهوات، وركّبه فيها الشّفاء، وجعل له فيما هو فيه نقمة له وعظة واعتبارا.

---

٢٣ - حل مشكلات الاخبار /للسيد عبد الله شبر

المصادر

[١] التبيان في تفسير القرآن تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ هجري مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث..

[٢] - تفسير القمي رحمه الله المتوفي سنة٣٢٩ من مطبوعات مؤسسة الاعلمي.

[٣] - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره " مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان

[٤] والبرهان في تفسير القرآن لمؤلفه العلامة المحدث هاشم البحراني الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات تاريخ الاصدار: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

[٥] - تفسير الإمام العسكري (ع) المؤلف: المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) الوفاة: ٢٦٠ تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع) الطبعة: الأولى محققة سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩

[٦] - مجمع البيان. المؤلف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي الناشر: دار المرتضى تاريخ الاصدار: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

[٧] - الكتاب: تفسير جوامع الجامع المؤلف: الشيخ الطبرسي الوفاة: ٥٤٨ تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٨ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

[٨] - براءة آدم حقيقة قرآنية تأليف السيد جعفر مرتضى العاملي

[٩] - الكتاب: الكافي المؤلف: الشيخ الكليني الوفاة: ٣٢٩

تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الخامسة.

[١٠] - تفسير نور الثقلين المؤلف: الشيخ الحويزي

تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي

الطبعة: الرابعة سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش

[١١] - كتاب: مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار تأليف: السيد عبد الله شبر تحقيق وتعليق: السيد علي عبد الله شبر

الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات

الطبعة: الثانية ١٩٨٧.

[١٢] - البيان في تفسير القرآن للسيد ابو القاسم الخوئي قدس الله سره

العراق بغداد سنة الطبع ١٤٢٧هـ ٢٠١٥م

[١٣] نزيه الأنبياء تأليف أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي

المعروف بالشريف المرتضى إعداد مركز الأبحاث العقائدية